حالة العلم في نجد

« قبل الوهابية وبعدها »

أرسل الينا حضرة مراسلنا البغدادي الفاضل « ساتسنا » تابع البحث عن بلاد العرب الذي نشرنا منهُ قسماً في « زهور » هذه السنة (ج ٤ ص ١٧٦ و ج ٥ ص ٢٣٣) وهو البحث الذي وضعهُ خصيصاً لقراء مجلتنا بمساعدة حضرة الالمعي سليمان افندي الدخيل صاحب جريدة « الرياض » الزاهرة . وما جاء في المقالة بين قوسين « » هو لمراسلنا والباقي للصحافي البغدادي الاديب

« رأيت من مقالتنا الاولى ان ديار نجد واقعة في اقليم تحيط بهُ النفُوذ احاطة الهالة بالقمر ، بحيث ان الطبيعة قد عزلتها عن سائر البلاد وجعلت العلوم والآداب لا تصل اليها الاّ بعد تجشم المشاق التي لا تطاق . هذا فضلاً عن ان هناك سبباً آخر أوقف سير نجد في سبيل التقدم ومجاراة أهل سائر الاقطار في رقيّ سلّم المعارف وهو انها أصبحت منذ الاعصار المتوغلة في ظلمات القدم طريقاً للحاج ينتابهُ العرب منسلّين إليهِ من كل حدب سحيق وشِعبٍ عميق. على ان الاختلاف الى تلك الديار اصبح اعظم من سابق منذ استحكام قدم الاسلام في الارض ، فغدت نجد من الديار التي يدخلها العراقي والفارسيّ والهنديّ ومن كان ورآء هذه الارجاء النائية . ولهذا ازدادت رغبة النجديين في الترحيب بالحاج واستقبالهم وحسن ضيافتهم، ولم تعُدِ الحال تمكّنهم من ان يتفرغوا لغير القِرى وما ضارعهُ من الامور التي تنشأ منهُ او تستند اليهِ

« ولهذا السبب لما ظهر الاسلام ودان اهل نجد بهِ خفّت اتعابهم

لقلة مؤونة ما يطلبهُ الايمان منهم وعلى هذا المبدإ قلنا في مقالتنا الاولى :

ان اهل نجد يعتمدون في دياتهم واعتقادهم على الكتاب والسنَّة

وبودّي ان ابسط الكلام في هذا الموضوع وأبيّنهُ بأجلى برهان حتى لا يبقى للمعترض أدنى حجة ، ولكن ضيق الوقت لا يسمح لي بذلك وعليهِ فلا جناح عليَّ اذا تابعتُ هذا البحث في مقالات متتالية . وعندي ان فوائدها لا تقل عن فائدتها اذا كانت مفرغة في حلقةِ مقالة واحدة .

نجد في سالف العهد

اذا هبطتَ ديار نجد وتجوّلت في انحائها تجوّل مفكر متدبّر تعثر فيها على آثارٍ تدلك دلالة واضحة على أنها كانت في العهد القديم معهد حضارة ومنتجع علم ومرتاد عمران راقٍ وان لم تكن على نحو غيرها التي كشف لنا تاريخها عن احوالها وما كانت عليهِ من العُرُوقِ في المدنية والشموخ في العز والاصالة في العلم والحضارة؛ ترى اليوم في المغاور والكهوف المنقورة في الاودية والجبال البعيدة عن السكنى ما يدهشك من الآثار؛ ترى رسوم كتابة ورُقُماً لا تشبه كتابتها الكتابة الافرنجية ولا العربية بل هي كتابة خصوصية لعلها كلدانية قديمة او نبطية او مُسْنَد او ما ضاهى هذه الكتابات القديمة ؛ ترى عادياتٍ وآثاراً وهيا كل كالتي تشاهد مثلاً في « سدوس » قرب بلدة « ملهم » اذ هناك تمثال دفعت بدلاً عنهُ دولة اوربية مبلغاً طائلاً من المال فأبى اصحابهُ بيعهُ ؛ ترى أبنية فخمة ضَخْمَةً وآثاراً جليلة تشهد بأن بُنَاتَهَا كانوا اهل جدٍّ وجهد وجلد،

وان لهم مهارة عجيبة بأعمال الهندسة والبناء لارتفاعها في الهوآء وحسن نظام اجزائها ، وتناسبها وبديع مجاورتها بعضها لبعض

نجد بعد الرسالة

ومن بعد ان بعث الحكيم (صلعم) بالهدى والحق وانتشر الدين الاسلامي في هاتيك الربوع ، عمَّ بلاد نجد من جملة ما عمَّ . فسار أهلها على هذه الطريقة المثلى ، بيد أن الحوادث التي طرأت على قادة الأمة من بعد أبي بكر وعمر رضه شغلتهم عن مشارفة تلك البلاد فأهملوها ؛ هذا من جهةٍ ، ومن الجهة الاخرى ان الحروب والمنازعات والاختلافات شغلت أهالي نجد عن الامعان في حقائق دينهم فمرَّت عليهم السنون الطويلة وهم يَحْبُون في الايمان والاعتقاد إلى ان وصل الحال بهم الى درجة أصبحوا فيها وقد تعددت فيهم الاوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة بالشجر والمطر والبحر والنجم وعبادات القبور والعكوف عليها والاعتقاد بأهلها النفع والضر الى غير ذلك مما للعراق فيهِ اليوم النصيب الأوفر والحظ الاكبر رغماً عن انتشار العلم فيهِ . وبقي أهل نجد في هذه الحالة وليس لهم سوى الحرب والضرب والاعتقاد الضارّ بالانسان دِيناً ودُنيا وأخرى وليس لهم من الدين الحق الاّ الاسم وذلك الى زمن الشيخ محمد عبد الوهاب

نجد في عهد الشيخ محمد عبد الوهاب

نشأ الشيخ محمد رحمهُ الله في بلدة العُيَيْنَة في حضن والده عبدالوهاب

ابن سليمان فربَّاهُ أحسن تربية ولقَّنهُ العلم هو بنفسهِ ، وكان والدهُ حينئذٍ قاضياً في بلدة العيينة من قبل حاكمها الامير عبد الله بن محمد بن حمد المُعمَّر ، ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير المطالعة والتدبُّر والتفكُّر شديد الشوق الى العلم وطلبهِ ، حدثتهُ نفسهُ بأن يسير في طلب العلم الى بلاد أخرى فحجَّ ثم سار الى المدينة فاتصل بالشيخين : عبد الله بن ابرهيم مؤلف كتاب العذب الفائض في علم الفرائض ، والشيخ محمد حياة السنوي المدنيّ ، فأقام عندهما مدة ثم رجع الى نجد ومن هناك سار الى البصرة فبغداد وهو في هذه الاثناء يتزوَّد الكفاية من علم التوحيد والفقه وسائر العلوم . ثم حاول المسير الى الشام فمصر ولكن صدهُ عارض في الطريق فرجع ادراجهُ الى بلاده حاملاً من زاد العلم ما لم يتسنَّ لأحدٍ غيرهِ في وقتهِ . ثم ذهب لرؤية والدهِ وكان يومئذٍ في حريملاَ وسبب تحوُّل الوالد الى هذه البلدة هو انهُ في غياب الشيخ محمد توفى الله الامير عبدالله وخلفهُ في الامارة ابنهُ محمد فعزل والد الشيخ عبدالوهاب بن سليمان عن القضاء وأقام مكانهُ احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب ورحل عبد الوهاب القاضي الى حريملا Hremlâ

ولما ثبتت قدمهُ عند والده باشر الشيخ تزييف الخرافات والبدع والاضاليل وشمَّر عن ساعده لابادة الأوهام المضرَّة بالدين وأخذ بنشر الاعتقاد الصحيح الذي لا يأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ

هرب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بلدة حريملا

كانت حريملا في عهد الشيخ بلدة لا ترجع الى أمير ولا الى امارة بل كانت كرةً تتقاذفها صوالجة قبيلتين وهما قبيلة العبيد وقبيلة أخرى ، فاتفق يوماً ان الشيخ زجر بعض السفهاء من قبيلة العبيد عن ارتكاب بعض المخازي الدالة على سوء الاخلاق ، فعمد هؤلاء الى اهانتهِ بل الى قتلهِ وأرادوا اتمام الامر بالفعل فساروا اليهِ ليلاً وتسوَّروا الجدار وبينما هم في هذا العمل اذ صاح صائح في المحلة ، فظن هؤلآء المفسدون ان الصياح عليهم فهربوا وكفاهُ الله شرَّهم

ولما اسفر الصباح رحل الى بلدة العيينة وكان محمد الامير قد توفاهُ الله وقبض على زمام الامارة من بعده عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقاهُ الامير عثمان بالتجلة والترحاب والاكرام التام ، وهناك أخذ يبثّ حقائق التوحيد ، والامير عثمان يتعهدهُ بحفظ حياتهِ ونصرهِ على أعدائهِ

حكاية الشجرة والقبة

وقد طلب الشيخ الى الامير أن يقطع شجرة كانت تُعبد في البلدة وان يهدم قبة زيد بن الخطاب رضه فتمنع الامير ، وبعد ذلك ألحَّ الشيخ عليهِ وأقنعهُ فأذن لهُ في الآخر . ثم طلب اليهِ أن يسير هو أيضاً معهُ فسار الامير مع الشيخ ومعهما ستمائة فارس ولما وصلوا الى المحل المطلوب قُطعت الشجرة وهُدِمت القبة ، وكانت قرب بلدة الجُبَيلة . فكان ذلك العمل من أخطر الاعمال التي أتاها الشيخ

أمير الاحساء

ما فعل الشيخ هذا الفعل الاّ واشتهر أمره ونَبَهَ ذكرهُ ، فبلغ خبرهُ أمير الاحساء سليمان بن محمد ، وكان ذا قوة وبأسٍ شديد ، فبعث الى عثمان بن محمد بن معمر يتهدده بقطع رَوَاتبهِ عنهُ والسير اليهِ ان لم يطرد الشيخ من بلاده . فأذن حينئذٍ الشيخ عثمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يسافر الى حيث يريد

الدرعية

فاختار الشيخ الذهاب الى بلدة « الدَرْعِية » فسار وسيَّر الشيخ عثمان معهُ جماعةً تحافظ عليهِ من أعدائهِ حتى وصل الى الدرعية ، فحلَّ ضيفاً عند عبد الله بن عبدالرحمن بن سُوَيلم أحد أعيانها . ثم علم بهِ بعض كبار الدرعية فزاروهُ ، ولما اطَّلعوا على مبدإه استحسنوهُ وأحبوهُ . ثم أرادوا أن يسموا عند أميرها محمد بن سعود لينزله ضيفاً عنده فتخوفوا. ففاوضوا بذلك أخاهُ ثنيان الاعمى وزوجتهُ وأخاهُ شاري، فاتفق الجميع على تحقيق ما في الامنية ، تمّ الأمر وذلك ان الامير لما دخل قصرهُ وقابل زوجتهُ اجتمع بهِ أخواهُ وعرضا عليهِ الأمر مع زوجة الامير وأشاروا عليهِ باكرامهِ واحترامهِ . فسار اليهِ برجلهِ ثم أخذهُ من عند عبد الله السالف الذكر وجاء بهِ الى قصره فاحتفى بهِ أحسن الاحتفاء وأعزهُ وقام مؤيداً لدعوتهِ بكل قوتهِ . فأخذ الناس يفدون الى الدرعية أفواجاً أفواجاً فازدادت بذلك قوة الامير بل تضاعفت وشرع يكاتب بلدان نجد وقراها ويدعوها

الى طريق الحق ، وما لبث أياماً قلائل الاّ وخضعت لهُ القبائل ودانت لهُ أغلب البلدان . وما زالت الامارة في امتداد واتساع حتى أصبحت دولة آل سعود في درجة لو وُفّق أمراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها الى ثروةٍ وَمَدِّ نظرٍ في السياسة لغدت اليوم من أعظم الدول الاسلامية قوة وسطوة ورهبة ولامتدت أمرتهم الى بلاد شاسعة ، الاّ انهُ دهمها ما لم يَدُرْ في خلد أصحابها فانها لمَّا شدّدت في بعض أمورها كثر أعداؤها فاحتالوا على الفتك بها فأوقع بعض الامرآء ما يلقي النفور بين آل سعود وبين الحكومة العثمانية وللحال انقدت تلك النار الحامية نار الحروب والمضاغنات والزحفات المتكررة فأضرّت بالطرفين

ولا بد من ذكر تلك الاسباب التي حملت القوم الواحد على القوم الآخر في فرصة أخرى والله ولي التوفيق . وهو نعم الرفيق

في جنائن الغرب

﴿ حديث القلوب ﴾

« للكاتب الاجتماعي لامينه[1] »

١

أعيروا السمع وقولوا لنا من أين يأتي ذاك الدوي المصم الغريب

(١) (Lamennais) فيلسوف فرنسوي عاش من سنة ١٧٨٢ الى سنة ١٨٥٤ وكان من انصار المبدإ الثيوقراطي — وهو المبدأ القائل بصدور السلطة